The Context and Its Impact on Selecting the Grammatical Aspect – An Applied Study in Selected Verses from the Holy Quran

Nidal Mushref Mukhlif
Directorate of Education in Anbar, Ministry of Education, Iraq
drnidhal.joani78@jmail.com

KEYWORDS: **Maqam, Grammar, Semantic effect, Holy Quran.**

https://doi.org/10.51345/.v36i1.1020.g508

ABSTRACT:

This research is based on studying the effect of the Maqam on Arabic grammar and applying it to verses of the Holy Quran. The importance of the research stems from the importance of Arabic grammar; the science of grammar is one of the tools for understanding the sciences of the Quran, the most important of which is interpretation, which is closely related to it; as the rules of grammar contribute to analyzing the Quranic texts and understanding them in their correct form, and thus the Quranic text is free from errors or distortions. Ibn Atiyah confirms this statement by saying that the science of grammar - specifically parsing - is a foundation in the sciences of Sharia. The research aims to clarify the effect of the idea of Maqam on Arabic grammar, and whether it has a formal or moral effect.

المقام وأثره في انتقاء الوجه النحوي – دراسة تطبيقية في آيات مختارة من القرآن الكريم

م. د. نضال مشرف مخلف
مديرية تربية الانبار، وزارة التربية، العراق
drnidhal.joani78@jmail.com

الكلمات المفتاحية | المقام، النحو، الأثر الدلالي، القرآن الكريم.
https://doi.org/10.51345/.v36i1.1020.g508

الملخص:

يقوم هذا البحث على دراسة أثر المقام في النحو العربي وتطبيقها على آيات من القرآن الكريم، فيُعدّ علم النّحو من أدوات فهم علوم القرآن وأهمّها التفسير الذي يرتبط به ارتباطاً وثيقاً؛ حيث إنّ قواعد النّحو تساهم في تحليل النصوص القرآنية وفهمها على هيئتها ا لصّحيحة، وبهذا يكون النّص القرآنيّ سليماً من اللّحن أو التّحريف، ويُؤكّد (ابن عطيّة) هذا الكلام بأنّ علم النّحو –وتحديداً الإعراب– هو أصل في علوم الشّريعة، ويعمل بحثنا على إظهار أثر المقام في آيات القرآن الكريم، وهل أثر تأثيراً شكلياً أم معنوياً.؟

المقدمة:

ظلت اللغة على مر العصور حقلاً للدراسة والتحليل والتعقب، وظلت الأيادي المولعة بكشف أسرارها وتتبع خفاياها حريصة في كل مرة على الغوص في تفاصيلها معلنة ميلاد حركة علمية اصطلح على تسميتها باللسانيات، التي تعددت نظرياتها استناداً إلى الخلفية الفكرية التي قادت البحث اللساني، مشكلة أرضية متينة للبحث المنهجي القائم على قواعد وأسس موضوعية، تنأى بالظاهرة اللغوية عن مصارع الذاتية وتأويلات الذوق.

والمقام استخدم قديماً عند النحاة في دراساتهم، ولكن الدراسين المحدثين طوروا هذا المصطلح –المقام – وخاصةً في دراساتهم (الدلالية والأسلوبية).

وحول اهتمام النحاة بالعوامل الاجتماعية في اللغة، يقول الدكتور كمال بشر: (فدرسوا اللغة على أنّها لها ارتباط وثيق بالمقام، و لا تدرس بشكلٍ منفرد لوحدها، فاللغة نشاط إنساني له تفاعله وتحركاته مع محيطه)[1].

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى توضيح أثر فكرة المقام في النحو العربي، وهل أثرت تأثيراً شكلياً أم معنوياً؟، سيتضح لنا ذلك في التطبيق على آيات من القرآن الكريم.

أهمية البحث:

تتكون أهميته من أهمية النحو العربي؛ فيُعدّ علم النّحو من أدوات فهم عُلوم القرآن وأهمّها التّفسير الذي يرتبط به ارتباطاً وثيقاً؛ حيث إنّ قواعد النّحو تساهم في تحليل النصوص القرآنية وفهمها على هيئتها الصحيحة، وبهذا يكون النّص القرآني سليماً من اللّحن أو التّحريف، ويؤكّد (ابن عطيّة) هذا الكلام بأنّ علم النّحو – وتحديدا الإعراب– هو أصل في علوم الشريعة.

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، لوصف ظاهرة أثر المقام في النحو العربي وتطبيقها على آيات من القرآن الكريم، وتحليلها.

خطة البحث:

1. مقدمة
2. المبحث الأول: المقام لغة واصطلاحاً
3. المبحث الثاني: المقام في الدراسات اللغوية
4. المبحث الثالث: تطبيق على آيات من القرآن الكريم
5. المصادر والمراجع

المبحث الأول: المقام لغة واصطلاحاً

أولاً : المقام لغة: يقول ابن منظور: (يعني الجلوس والقيام والمقام، والقوام: العدل وحسن الطول والقوائم: مقابض السيوف) [(2)].

وأيضاً المقام يعني: الموقف، والجماعة من الناس، وفي علم الحساب العدد الاسفل الاعتيادي، أو الدرجة الرفيعة والمنزلة، ومن الدعاء المأثور: وابعثه اللهم المقام المحمود الذي وعدته [(3)].

ومما نلاحظ أن المعطى المعجمي لدلالة المقام متعددة بين الجلوس، والموضوع والعدل ومقابض السيوف، والعدد والاسفل والمنزلة الرفيعة.

ثانيا: المقام اصطلاحاً: على الرغم من اهتمام العلماء بالمقام وتوظيفه في العديد من المجالات؛ باعتباره وسيلة فاعلة لكشف الغموض الذي قد يعتري النصوص، ولكنه لم يعرف في الدراسات القديمة، وربما هذا يعود إلى عد م النظر للمقام كعلم قائم بذاته ينبغي أن يؤسس له، أما في الدراسات الحديثة فقد تم تناول المقام لبيان الدلالة والكشف عن المعنى.[(4)]

وقيل أيضاً :هو ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب، مما يتوصل به شيوع تصرف، ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف فمقام كل واحد موضع إقامته عند ذلك وما هو مشتغل بالرياضة له، وشرطه ان لا يرتقي من مقام الى مقام آخر ما لم يستوف احكام ذلك المقام.[5]

والتوجيه في الاصطلاح النحوي: الوجه: هو المعنى النحوي الخاص بالحالة الإعرابية الواحدة ككون الكلمة مرفوعة، لأنها فاعل أو مبتدأ أو خبر أو غير ذلك.[6]

وهو: "هو ذكر الحالات والمواضع الإعرابية، وبيان أوجه كل منها، وما يؤثر فيها، وما يلزم ذلك من تقرير وتفسير أو تعليل أو استدلال أو احتجاج"[7]

فتعريف التوجيه ينصب أساساً على الإعراب، ثم ذكر ما يؤثر فيه من تأثيرات، وما يحتاجه من تفسير وتعليل وتوضيح.

ويعمد التوجيه النحوي إلى تفسير المعاني التي من أجلها وضعت التراكيب وذلك يكون عن طريق الإعراب.

المبحث الثاني: نظرية المقام في المدارس اللغوية

إنّ نظرية المقام من أهم الأسس في الدراسات اللغوية، فاللغة ينبغي دراستها في ضوء الظروف التي تحيط بها، لأنّها حكماً تشكلت بعوامل تلك البيئة، فالكاتب والشاعر ابن بيئته يستمد ألفاظه من المجتمع الذي يعيش معه، ومن هنا يتبين معنا أنّ اللغة ترتبط بالمقام الذي جاءت فيه، فلكل مقام مقال.

ولقد تعددت المناهج اللغوية الغربية المختلفة لدراسة المعنى، منها النظرية الإشارية على يد كل من " أوجدن " و "ريتشاردز"، اللذان ظهرت أفكارهما في كتابهما **The Meaning of Meaning**[8]، والنظرية التصورية أو العقلية للفيلسوف " جون لوك"، والنظرية السلوكية التي يعدّ (بلومفيلد) المسؤول عن تقديمها إلى علم اللغة[9].

فقد لفت "بلومفيلد" الانتباه إلى دور الاستجابة التي تستدعى لدى السامع في تحديد معنى الصيغة اللغوية[10]، ويكون الكلام بناء على ذلك بمثابة استجابة عضوية وعلى السامع تحليلها[11].

ولكن على الرغم من ذلك، لم تستطع هذه المناهج – التي ظهرت قبل مدرسة " فيرث " – أن تقدّم لنا فكرة السياق بالمفهوم الذي تحدد على يديه وأصبح نظرية دلالية متكاملة الجوانب إذ أخذ اللغويون الاجتماعيون على علم اللغة الحديث إغفاله للسياق الذي تستعمل فيه اللغة، ويتطلعون من وراء ذلك إلى منهج في درس اللغة يشرفها من خلال بعد أوسع، ويحاول أن يتبين كيف تتفاعل اللغة مع محيطها[12].

ومن أجل ذلك نرى ستيفن أولمان يركز على الفرق بين اللغة والكلام، فاللغة ثابتة مستقرة والكلام عابر سريع الزوال، واللغة تفرض علينا من الخارج في حين الكلام نشاط متعمد مقصود، كما أن اللغة اجتماعية والكلام فردي[13].

المبحث الثالث: تطبيق على آيات من القرآن الكريم

في قوله تعالى: (**وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَـــيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**)[14].

فقدم الجار والمجرور (مع الله) على المفعول به (إلهاً) وذلك مراعاةً للمقام، ويوحي هذا إلى وجوب توحيد الله سبحانه وتعالى وعدم الاعتراف بأي آلهة أخرى معه، وهذا يتضح كذلك في سياق الآية التي تليه.

ومنه أيضا قوله تعالى: (**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ**) [15]

فقدم الجار والمجرور (فيها) على المفعول به (رجلَين) للدلالةَ على الوجود في هذه المدينة من قتال لذكر الرجلين.

وفي قوله تعالى: (**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ**)[16]

فقدم الظرف (يوم) ليدل عَلَى أنه يوم القيامة، بالإضافةَ إعطاء دلالة التوكيد وما يدل على هذا سياق الآية التي قبلها.

وقد يحذف الحرف مراعاة للمقام ومن ذلك حذف حرف الياء في (رب) في الدعاء في قوله تعالى: (**قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ**)[17] وذلك مراعاةً للمقام.

وحذف الأدَاة: بالعودة إلى الآية السابقة (**قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ**) [18]، نجد حذف أداة النداء (يا) فتقدير الكلام (قال يا رب) وهذا توافق مع السياق النفسي لموسى عليه السلام حيث هو قريب من الله تعالى.

ومن الأمثلة القرآنية على ذلك ما جاء في قوله تعالى: (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6)**) [19].

فقد قدَم المفعول به (إياك) على فعل العبادة وعلى فعل الاستعانة دون فعل الهداية فلم يقل:

(إيانا اهد) وذلك مراعاةً للموقف المقامي في الآية.

وهذا نظير قوله تعالى: (**بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ**)[20] وقوله: (**وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**) [21].

فقدم المفعول به على الفعل تعظيماً وإجلالاً للفظ الجلالة (الله) فلا يجوز إيراد أي شيء قبل اسم الله تعالى.

وقال تعالى: (**والذين إذا ذُكّروا بآيات ربّهم لم يخرُّوا عليها صُمًّا وعُميانا**)[22] [الفرقان] فقدم الصم وهم فاقدو السمع علىَ العمَيان وَهم فاَقدوَ البصَر. قالوا: لأن السمع أفضل. قالوا: والدليل على ذلك أن الله لم يبعث نبياً أصم، ولكن قد يكون النبي أعمى كيعقوب (عليه السلام) فإنه عمي لفقد ولده.

(**الْحَمْدُ للَّهِ الذي أَنْزَلَ عَلَى عَبْده الْكتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عوجًا**)[23]

تقدمت شَبَه الجملة (عَلَىٰ عبْده) عَلى المفعول به (الْكتَابَ) دلالة على الاختصاص.

وفي قوله تعالى: (أَنَّ لَهم أَجرا حَسَنا)[24].

تقدم خبر أن (لهم) شبه الجملة على اسمها (أجرا) دلالة على الاختصاص.

وفي قوله تعالى: (**ما لَهُمْ به منْ علْم وَلَا لآبَائهمْ كَبُرَتْ كَلمَةً تَخْرُجُ منْ أَفْوَاههمْ إنْ يَقُولُونَ إلا كَذبا**)[25].

في الآية توبيخ للكفار علَىَ جَهلهَم وتأكيَد للَنفي، فـ(ما) هنا نافية والجار والمجرور (لهم) متعلقان بخبَر محذوف و(علم) اسم مجرور لفظاً مرفوع محلاً مبتدأ مؤخر وهنا جاء المبتدأ نكرة فهو في موقف ضعف يتقدم عليه الخبر شبه الجملة فهو من صور تقديم الخبر على المبتدأ.

وفي قوله تعالى: (**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بالْحَقّ**) [26].

تقدم المبتدأ (نحن) وهو فاعل في المعنى على الفعل (نقصُّ) لأن من يقص القصص هو الله سبحانه فهو وحده الذي يملك الحق والصدق في خبر أولئك الفتية، فتقدم الاسم على الفعل لدلالة السياق.

وفي قوله تعالى: (**يَنْشُرْ لَكُمْ ربُّكُمْ منْ رَحْمَته وَيُهَيّئْ لَكُم منْ أَمْركُمْ مرفَقًا**)[27].

تقدمت شبه الجملة (لَكُم) على الفاعل (ربكم) دلالة علىَ الاختصاص.

وفي قوله تعالى: (**مَنْ يَهْد اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَد وَمَنْ يُضْلل فَلَنْ تَجدَ لَهُ وَليًّا مُرْشدًا**)[28].

تقدم المفعول به على الفعل، الآية فيها معنى العموم فتقدم اسم الشرط الجازم المفعول به (من) على كل من الفعلين (يهد، تجد).

وفي قوله تعالى: (**قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بمَا لَبثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَات وَالْأَرْض أَبْصرْ به وَأَسْمعْ مَا لَهُم منْ دُونه منْ وَليٍّ وَلَا يُشْركُ في حُكْمه أَحَدًا**)[29].

تقدم الخبر شبه الجملة (له) على المبتدأ المؤخر (غيب) وذلك بيانا لاختصاص الله عز وجل بما غاب في السموات والأرض، وقدم الخبر على المبتدأ للتأكيد على أنه ما من متولّ لأمورهم إلاّ الله عز وجل.

وفي قوله تعالى: (**أُولَئكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْن تَجْري منْ تَحْتهمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فيهَا منْ أَسَاوره منْ ذَهَب وَيَلْبَسُونَ ثيَابًا خُضْرًا منْ سُندُس وإسْتبْرَق مُتَّكئينَ فيهَا عَلَى الْأَرَائك نعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا**)[30].

تقدم الخبر (لهم) شبه الجملة علىً المبتدأ المؤخر جنات والكلام هنا يخص الذين عمروا دنياهم بالإيمان والعمل الصالح، فكان التقديم للتخصيص.

(وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا)[31].

تقدم الخبر (لهَ) على (فئة) كان المؤَخر (فئة) لإفادة التخَصيص. ومنه قوله تعالى: (هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خير ثَوابا وخير عقْبا)[32] حيث تقدّم اسم الإشارة (هنالك المتعلق بالخبر المقدم) علىَ المبتدأ المؤخَرَ (الوَلاية) وذلك دلالة على أهمية ذلك المقام وتلك الحال لتكون النصرة لله سبحانه.

(وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا)[33]، تقدم الجدار وهو المبتدأ على الفعل الناقص (كان) وذلكَ لثبوتَ اَلحكمَ لَلجدارَ ودَلالة على أهمية الاسم المتقدم. وقد تقدم خبر كان شبه الجملة (تحته) على اسم كان (كنز) لدلالته على مكان الكنز فهو تحت السور،

وفي قوله تعالى: (وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا) [34]

تقدم الخبر (له) على المبتدأ (الحسنَى) لأن اَلله خص به الذي آمن.

وفي قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا)[35].

فهنا تقدم خبر كاَن (لهَم) شبه الجملةَ على اسمهَا (جَنات) للتأكيد على أَن للمؤمنين جنات الفردوس.

(أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا)[36].

تقدم المبتدأ السفينةَ على الفعل الناقص (كانت) واسم كان هو ضمير مستتر (هي) يعود على السفينة دلالة على ثبوت الحكم للاسم الذي تقدم وهو(السفينة). وجاء تقديم خبر كان شبه الجملة (وراءهم) على اسمها (ملكٌ) لهدف بلاغي وهو التمكين.

وفي قوله تعالى: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3))[37]

بَدأتَ اَلاسورة الكَريمةَ بالأداة (إذا) التي تفيد ربط الجواب بالشرط، وتفيد كذلك تتابع الزمن، كما تفيد الاستمرار الدائم له، فكلما جاء نصر الله وجاء الفتح حدث التسبيح والحمد، وهو أمر ثابت، مقرَّر، أزلي، سرمدي، متكرر، فهي ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه، منصوب بجوابه، بمعنى وقت، أو أوان، أو ساعة، أو لحظة، فكلمة (إذا) تفيد تمتين أواصر الجواب بالشرط، ودوام تحققه، وأزلية ثبوته، واستمرار حصوله، أي فسبح وقت مجيء نصر الله.

وفي قولهَ تعالى: (وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا)؛ حيث جاءت الواو لتقوي أواصر القربى، ووشائج المعنى بين ما بعدها، وما قبلها، فعَطفتَ جملةَ: (ورأيت الناس) على جملة:(جاء نصر الله والفتح)، وكأنهما يحصلان في زمن واحد، ووقت واحد، وكأنه شريطٌ يعرض في لحظة واحدة، ويتدخَّل الفعل:(رأى) الذي يفيد الرؤية البصرية؛ ليضفي الكثير على مشهد الرؤية للنصر، وذلك مراعاة للموقف المقامي.

وفي قوله تعالى: (**الْحَمْدُ للَّهِ الَّذي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**)[38]

إنَّ الضمائر التي تُحيل إلى الله تعالى قد توزعت في هذه الآية على ثلاث كلمات وهي (الذي، خلق، جعل)، إذ أحال الاسم الموصول والفعل (خلق) والفعل (جعل) إلى مرجعية سابقة لوجود ضمائر مستترة قد أحالت إلى الله عزَّ وجل.

إذ حققت الضمائر المستترة التماسك النّصي بتلك المرجعية ويظهر النّص في تقديمه الخلق على الجعل. فيذكر الله حكمته ودقته في ذلك الخلق وعلى الرغم من ذلك يأتي الكافرون ليعدلوا عن عبادته إلى عبادة المخلوقات.

وفي قوله تعالى: (**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**) [39].

تتضمن هذه الآية الحثّ علىَ الإنفاقً وقد جاءَت بصيغة الشرط وَالجواب، والملفت للنظر أنَّ الشرط لَّما كان متعلّقاً بالإنسان جاء على صيغة الفعل الذي يدل على التجدد والحدوث، وهذا يتناسب مع طبيعة الإنسان وطَبيعة هذه الصفة التي لا تكون ملازمة للمنفق في سائر أوقاته، ولما كان الجواب منسوباً إلى الله جاء على صيغة الجملة الإسمية التي تدلُّ على الثبوت والملازمة، أي أنَّ الإخلاف ثابت لا يحتاج إلى معالجة وتجدَّد فهو مضمون، وزاد من توكيدها تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي فحصل عندنا ثلاثة مؤكّدات: الشرط، والجملة الإسمية، وتقدم المسند إليه على المسند الفعلي ممَّا يبعث على الاطمئنان على مصير الأَموال التي تنفق في سبيل الله، ثمَّ ذيَّل الآية بقوله: (**وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**) "للتَّرغيب والْوَعْد بزيادة، لبيان أَنَّ ما يُخْلفه أَفْضَل ممَّا أَنفقه الْمُنْفق".[40]

وفي قَوله تعالى: (**وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ**) [41]، الملاحظ على هذه الآية الكريمة أنَّ خَبر المبتَدأ (الظالمون) جَاء اسمَاً (موقَوفون)، في حَين أنَّ الحال جاء بصيغة الفعل (يرجع) فالمتأمل لسياق الحال يجد أنَّ النظم القرآني كان معجزاً في رصده وموافقته لمقتضى هذا الحال، كما نتلمَّس دلالات وظلالاً يوحيها لنا هذا السياق حيث يكشف لنا عن طول مدة الوقوف في ذلك اليوم مذهولون (**لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ**)[42].

وفي قوله تعالى: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)[43]ا، فحذف المفعول الثاني؛ لعدم تعلّق الغرض به[44] وما سماه المحدثون بـ (الدلالة النحوية) فهي تسمية جديدة، لكن هي في حقيقتها موجودة في أول كتاب في النحو العربي، كتاب سيبويه الذي بنيت على أساسه قواعد النحو العربي.

وإنَّ الحق من القول أنّ النحو بقى على ما حصره به النحاة المتأخرون بقرينة الإعراب، إلى أن ظهر عبد القاهر الجرجاني بنظرية النظم، إذ نقل الاهتمام من الجانب الشكلي الذي بدت صبغته لامعة عند النحاة المتأخرين إلى الجانب الدلالي أو ما يعرف بمعاني النحو، من خلال نظريته الشهيرة.

وأخذ الدلاليون الغربيون من التراث العربي الكثير من النظريات، فنجد تشومسكي، قد اصطلح على كل هذه العلاقات بالنحو التوليدي، وهو بحث بعلاقة النحو بالدلالة فقد أكد أنها علاقة وثيقة جدا، كذلك (بالمر) وضع مصطلحات في علم الدلالة التوليدي تعتمد على التراكيب النحوية، وتغيرها فتتولد منها دلالات جديدة، وهذه الافكار مستوحاة من نظرية النظم(45)

وعلى هذا الأساس، نصب أحد الباحثين اهتمامه على دراسة الدلالة في المستوى التركيبي لـ(سورة العلق)، وذلك من خلال البحث في طبيعة البنى التركيبية المتوفرة في نص السورة، باعتبارها المكون الدلالي الثالث بعد الصوت والصرف، والذي يساهم في الكشف عن دلالتها العامة[(46)].

وفي قوله تعالى: (**قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ**) (47)

في هذا السياق القرآني تمثل النداء بقوله {يا ويلتا} وقد تحول بفعل السياق الى التعجب، ومما يؤكد هذا التحول الدلالي هو حال من صدر منه هذا النداء وهي السيدة سارة زوجة النبي إبراهيم (عليه السلام)، ونطقها بهذه الكلمة بعد حرف النداء (يا ويلتا)، والمقصود من هذه الكلمة، والتي يكون اصلها: (يا ويلتاه) ،التعجب من رؤية ما يثير هذا الانفعال من موقف، والموقف الذي أثار التعجب في هذا السياق هو مسألة الوالدة المرأة بلغت من العمر تسعين سنة، ويقال تسعة وتسعون سنة ،وكذلك التعجب بصورة النداء جاء هنا باعتبار حال الزوج ،وكيف يلد وهو ينظر الى زوجته شيخ كبير بلغ من العمر مائة وعشرين سنة ،وقد كان بين هذه البشارة والولادة سنة، وإنَّ هذا الشيء عجيب.(48)

في قوله تعالى: (**وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ**) (49) يلحظ في هذه الآية القرآنية وبحسب القرائن اللغوية في السياق الداخلي اللاحقة للنداء وذلك قوله تعالى:(إنك لمجنون) يعضد هذا التحول الدلالي للأسلوب عن إقبال المدعو على الداعي هو حال كفار قريش وعدم تصديقهم بما جاء به النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) من عند الله وما طلبوه منه في السياق اللاحق وذلك في قوله تعالى: (**لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**) (50)

فهو إثبات آخر على توجيه النداء في هذا السياق الى الاستهزاء بحسب المؤثر المقامي ووضع الشرط في السياق اللاحق إثباتا على صدق دعوى الرسول (صلى الله عليه وسلم) في ما أنزل إليه من الله سبحانه وتعالى.(51)

وقد ترد صيغ النداء في القرآن الكريم وتستعمل بكثرة على غير ما هو متعارف أو مستعمل بهذه الكثرة في غير القرآن وذلك في قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ**

تَتَّقُونَ)[52] نلاحظ أن لهذه الصيغة السياقية في القرآن الكريم دلالات كثيرة منها إنما تكون للتأكيد والمبالغة على الأوامر الإلهية والنواهي الإلهية والتي ينادي بها الله على عباده من أجل أن يلتزموا بها والدلالة كذلك بهذه الصيغة من النداء تكون في الزواجر والمواعظ والتأكيد عليهما والتنبيه لها وكذلك تكون هذه الصيغة من النداء دالة على الوعد والوعيد والإخبار عن قصص الأمم السالفة من أجل الاعتبار واخذ الموعظة وكل هذا وغيره مما يكون كفيلاً بإصلاح أمورهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة، وعليه فكان لا بدّ من أن يصاغ لهذه الأمور المذكورة سياق قرآني مختلف يشار به اليها،ويكون منبهاً عليها وتكون هي الأخرى مختصرة به من أجل أن تكون معرفتها أسهل والإصغاء لها مختلف.[53]

من ملامح أثر السياق في توجيه النداء القرآني وتحول الدلالة عبر السياق الكلامي الى التمني هو ما جاء في قوله تعالى: (**يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا**)[54] لُوحظ في هذا السياق القرآني تحول دلالة الأسلوب الطلبي بصيغة النداء بحرف الياء بقوله تعالى (يا ليتني) الى دلالة التمني وهذا سار في كل سياق مماثل لما في هذه الآية وذلك باعتبار القرينة اللفظية التي توجه اليها النداء،وهي اداة التمني (ليت) فجاءت موافقة لهذا التحول الدلالي ،وبها تم توجيه الأثر السياقي المتعلق بالنداء وكذلك فإن لسياق الحال، اثر كبير في هذا التحول الدلالي حيث يبين لنا هالك ثمار ذلك الرجل وما اصبح عليه من الندم والتحسر المعبر عنه بتقليب الكفين على ما أنفق في تلك الجنة او البستان وذلك بإرسال نار بأمر الله تعالى على اشجاره فأكلتها،عندما قال (يا ليتني) كونه قد تذكر ما وعظه ونصحه به اخوه فعلم حينها أنه أَثر من جهة شركه وطغيانه فكان للتمني بصورة النداء أ ثر ،في الذي حصل، وتمنى بان لو كان على غير شرك بالله عز وجل حتى لا يحرق بستانه[55].

ويتبين لنا من خلال ذلك ما للمقام وحضوره في هكذا سياقات من أثر في التوجيه الدلالي والكشف عن المعنى المقصود والمعول عليه وذلك بالطبع قد يتحدد بالنظر إلى منشئ النص ،أو عن المعنى المتكلم وهو الخالق عز وجل ومعرفته بشخص المخاطب وهو الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) ،أو السامع كما يسميه (تمام حسان) باعتباره أحد أطراف المقام الذي يجدد التوجيه والتحول الدلالي للأسلوب، وكذلك فإن تحول النداء الى التكريم يمثل هذه الصورة التي تضيف معنى إلى معناه الأصلي في الإطار النظري،إنما يشترك في توجيهه أيضا عند (تمام حسان) هي العلاقات الاجتماعية والعادات والتقاليد،وهذه أيضاً تشكل عنصراً هاماً من عناصر المقام في التوجيه الدلالي، وذلك أن المجتمع، وكما أشار (محمد متولي الشعراوي)[56] يضفي على الشخصيات المرموقة وأصحاب المناصب ألقاباً توحي بدلالات قد تكون للتفخيم أو للتعظيم أو غير ذلك ،وهذه العناصر المشتركة في تكوين المقام من المتكلم والسامع والظروف الاجتماعية قد أسهمت في بلورة هذه الدلالة،وحولت فكرة السياق المبدوء بالنداء من مجود التنبيه لشخص المخاطب إلى دلالة اخرى وتوجيه آخر.[57]

وقيل في الدلالة المعجمية هي: (الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع)[58]، أو هي ((عبارة عن المعنى الذي يستقل به اللفظ في المعاجم اللغوية أو أثناء التخاطب وهذا غير دلالته الصرفية، فلفظ (غفور) مثلاً يدلُّ على شخص متصف بالغفران، غير أن هذه الصيغة الصرفية تزيد معنى أزيد وهو الكثرة والمبالغة)) [59]

ونلاحظ استخدام لفظ ﴿ربك﴾ في قوله تعالى: (**اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ منْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وربُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الذي عَلَّمَ بالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ ما لَمْ يعلَمْ (5)**)[60] جاء مناسباً في السياق سواء من حيث معناه المعَجمي أو دَلالته السياقية، وفيه يلاحظ التركيز على مسألة الربوبية؛ فالرب هو المالك المصلح، الذي يملك الشيء ويتعهد بإصلاحه ورعايته، وللإثبات ربوبية الله تعالى جاء ذكر مسألة الخلق، كأفضل دليل على ربوبية الخالق، فالذي يدبر العالم هو خالقه[61].

وعلى أساس هذا جاء التذكير للإنسان بأن الله سبحانه قد قدّر نعمته على الإنسان بأن خلقه من ﴿علق﴾ مهين حتى صار بشراً سوياً وعاقلاً متميزاً[62]، ومتهيئاً لتعلمه الكتابة بالقلم، ولأن القلم هو رمز كثيف لكل ما يدل على القراءة والكتابة، فهو أيضاً رمز للعلم، وهذا مفاد قوله تعالى: (عَلَّمَ الْإِنْسَانَ ما لَمْ يعلَمْ) ؛ وهذا أمر ثان يؤكد الأمر الأول بالقراءة على ما هو ظاهر في سياق الإطلاق[63].

و ﴿العلق﴾ في الأصل هو الالتصاق بالشيء، ولذلك سمي الدم المنعقد المتلاصق، في إشارة إلى مبدأ خلق الإنسان، والآية تركز على هذه الظاهرة لتبين قدرة الرب العظيمة على خلق هذا الإنسان من العلقة التافهة[64]؛ الأمر الذي يتفق مع ما جاء في القرآن الكريم من أنه سبحانه وتعالى قد علّم (آدم عليه السلام) أسماء كل شيء، أي ألهمه[65].

نتائج البحث:

1. حاول النحاة في توجيههم للإعراب أن يذكروا احتمالات الإعراب المختلفة التي يحتملها النص، وهذه الاحتمالات مبنية على اختيارات سياقية للمركّبات المشكّلة للجملة وذلك مراعاة للسياق المقامي.
2. كان للتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والضمائر، والحروف والأدوات، دوراً في توجيهها بما يحقّق الائتلاف اللغوي الداخلي، والائتلاف الخارجي مع سياق الحال.
3. حقق المقام دوراً هاماً في النص القرآني.
4. تنوع التوجيه النحوي بين الرفع والنصب وذلك وفقاً للسياق المقامي وما تقتضيه حال الجملة.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم
1. ابن عاشور: محمد طاهر التونسي (ت 1393هـ) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.
2. ابن منظور (ت 711 هـ)، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1997م.
3. أركون، محمد: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2001م.
4. أولمان، ستيفن: دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال بشر، مكتبة الشباب، ط 10 سنة 1986م.
5. البغوي، ابن مسعود الفراء (510 هـ): معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ.
6. التفتازاني، مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين (ت: 793 هـ)، مختصر المعاني، دار الفكر، ط1، 1411هـ.
7. حسان، تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط2، 1979م.
8. حسان، تمام: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة – الدار البيضاء ط 2 سنة 1394 –1974.
9. الحلولي، عبد الله أنور سيد أحمد، قواعد التوجيه في النحو العربي،1997، دار التعاون للطبع والنشر.
10. الزمخشري: أبو القاسم محمود (ت 538هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.
11. السامرائي: معاني النحو: الدكتور فاضل صالح، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1420هـ.
12. السمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد (ت 373 هـ)، بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، (د.ط)، (د،ت)
13. الشعراوي: محمد متولي (ت 1418هـ): تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، 1997م.
14. الشيرازي، ناصر مكَارم: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان، ط1، 1434هـ، 2013م.
15. صالح، حسين حامد، التأويل اللغوي في القرآن الكريم دراسة دلالية، دار ابن حزم، بيروت، ط1426/1هـ)
16. الطبطبائي: العلامة السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في (قم)، (د،ت)
17. العبود، جاسم العبد الله: مصطلحات الدلالة العربية (دراسة في ضوء علم اللغة الحديث)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
18. عمر، أحمد مختار: علم الدلالة، عالم الكتب – القاهرة، ط 4 سنة 1993م.
19. القرطبي: أبو عبد الله محمد الأنصاري (671هـ)، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ، 1964م.
20. القيشري: عبد الكريم بن هوزان (465هـ)، الرسالة القيشرية، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.
21. كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي – مدخل: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1997.
22. المراغي: أحمد بن مصطفى (ت 1371هـ) تفسير المراغي، الناشر شركة ومكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ، 1946م.
23. نهاد موسى: نظرية النحو العربي (في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث)، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، 1987.
24. ياسين عبد الله نصيف، التقييد بالمفعولات في القرآن الكريم، إطروحة دكتوراه جامعة المستنصرية، بغداد، 2005م، 1425هـ.
25. د. جيان بلمولود: متقاربة بين نظرية النظم والنظرية التوليدية التحويلية (قواعد البنية والتراكيب)، مجلة الخليل في علوم اللسان، المجلد الثاني، العدد الثاني، 2023.
26. موسى جاسم عجيل، سورة العلق (دراسة دلالية)، مجلة الدراسات المستدامة، المجلد الثاني، العدد الثاني، 2020م، 1441هـ.

الهوامش:

(1) كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي – مدخل، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1997، 65.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قوم).

(3) ينظر: مادة (قوم).

(4) ينظر: حسين حامد صالح، التأويل اللغوي في القرآن الكريم دراسة دلالية، دار ابن حزم، بيروت، ط1426/1هـ،127.

(5) عبد الكريم بن هوزان القيشري، الرسالة القيشرية، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، 153/1، ط2، 1321هـ.

(6) الخولي، عبد الله أنور سيد أحمد، قواعد التوجيه في النحو العربي،1997، دار التعاون للطبع والنشر، (د.م)، 8

(7) المصدر نفسه، 12

(8) ينظر: على سبيل المثال كلامهما في الفصل الثالث من هذا الكتاب حول " المواقف الإشارية " 76 – 8 4 Sign – Situations، وفي الفصل الرابع حول " مفهوم الإشارات" 86 -77 Signs in Perception.

(9) ينظر : د. أحمد مختار، علم الدلالة عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1993، 54 – 67.

(10) Geoffrey Leech: Semantics، P. 62، Penguin Books، Second Edition، 1981

(11) ينظر: د. تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة – الدار البيضاء ط 2 سنة 1394 –1974، 243.

(12) ينظر: د. نهاد موسى، نظرية النحو العربي (في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث)، دار البشير للنشر والتوزيع عمان، 1987، 86 – 87.

(13) ينظر: ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال بشر مكتبة الشباب ط 10 سنة 1986م، 32.

(14) سورة القصص: الآية 88.

(15) سورة القصص: الآية 15.

(16) سورة القصص: الآية 62.

(17) سورة القصص: الآية 33.

(18) سورة القصص: الآية 33.

(19) سورة الفاتحة: الآية: 5 – 6.

(20) سورة الزمر: الآية 66.

(21) سورة البقرة: الآية 172.

(22) سورة الفرقان: الآية 73.

(23) سورة الكهف: آية: 1.

(24) سورة الكهف: آية: 2.

(25) سورة الكهف: آية: 5.

(26) سورة الكهف: آية: 13.

(27) سورة الكهف: آية: 16.

(28) سورة الكهف: آية: 17.

(29) سورة الكهف: آية: 26.

(30) سورة الكهف: آية: 31.

(31) سورة الكهف: آية: 43

(32) سورة الكهف: الآية: 44.

(33) سورة الكهف: الآية 82.

(34) سورة الكهف: الآية 88.

(35) سورة الكهف: الآية 107.

(36) سورة الكهف: الآية 79.

(37) سورة النصر: الآية 1–3.

(38) سورة الأنعام: الآية 1.

(39) سورة سبأ: 39.

(40) محمد طاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م، 220/22.

(41) سورة سبأ: الآية 31.

(42) سورة إبراهيم: الآية 43.

(43) سورة الضحى: الآية 5.

(44) ينظر: فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1420هـ، 94/2، وياسين عبد الله نصيف، التقييد بالمفعولات في القرآن الكريم، إطروحة دكتوراه، جامعة المستنصرية، 2005م – 1425هـ، 35.

(45) ينظر: د. جيان محمود بلمولود، مقاربة بين نظرية النظم والنظرية التوليدية التحويلية (قواعد البنية والتراكيب)، مجلة الخليل في علوم اللسان، المجلد الثاني، العدد الثاني، 2023، 79 – 80.

(46) ينظر: موسى جاسم عجيل، سورة العلق دراسة دلالية، مجلة الدراسات المستدامة، المجلد الثاني، العدد الثاني 2020م، 1441هـ، 116 - 117.

(47) سورة هود: الآية 72.

(48) ينظر: ابن مسعود الفراء البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، تحقيق: عبد الرزاق المصري، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط1، 1420هـ، 457/2.

(49) سورة الحجر: الآية 6.

(50) سورة الحجر: الآية 7.

(51) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ، 1946م، 4/10.

(52) سورة البقرة: الآية 21.

(53) ينظر الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيلدار الكتاب العربي – بيروت، ط3، 1407هـ، 90/1.

(54) سورة الكهف: الآية 42.

(55) ينظر الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل 734/2.

(56) ينظر: محمد متولي الشعراوي (تفسير الشعراوي)، مطابع أخبار اليوم، 1997م، 5036/8.

(57) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1979م

(58) التفتزاني، مختصر المعاني، دار الفكر، ط1، 1411هـ،229/1.

(59) ينظر: العبود، جاسم العبد لله: مصطلحات الدلالة العربية (دراسة في ضوء علم اللغة الحديث) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 115.

(60) سورة العلق: 1 – 5.

(61) الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، 2015/ 196.

(62) ينظر: تفسير المراغي، شركة مكتبة وطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ، 1946م، 200/3.

(63) الميزان في تفسير القرآن، 371/20.

(64) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، 30/ 334.

(65) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، (د،ط)، (د،ت) 598/3.